

جهود التبريزي البلاغية في شرحه اختيارات المفضل الضبي

د. إسراء وجيه خطاب

معهد إعداد المعلمات/ تكريت

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ... والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

يعد يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن بسطام الشيباني الملقب بالخطيب التبريزي (421هـ — 502م) من الشخصيات التي برزت في القرن الخامس الهجري. ((فقد حظي التبريزي بمنزلة علمية رفيعة المستوى، واتفق أصحاب التراجم على أنه كان ثقة في اللغة، وصنف في الأدب كتباً مفيدة))⁽¹⁾.

وقد برع التبريزي في علوم اللغة حتى ألصقت به تسمية اللغوي، وكان إلى جانب اللغة نحوياً بارعاً، وله شأن في الأدب وعلومه، فعده ابن الحنبلي ((صاحب اللغة وشيخ بغداد في الأدب))⁽²⁾.

وعده الحموي ((أحد الأئمة في النحو والأدب، حجة صدوقاً ثبتاً))⁽³⁾.

وقال عنه ابن الانباري ((كان أحد أئمة اللغة والنحو))⁽⁴⁾.

ولم يقف التبريزي عند حدود اللغة والنحو والأدب، بل إنه جمع في دراسته ((بين علوم القرآن والحديث واللغة والأدب والتأريخ))⁽⁵⁾. فكان بحق موسوعة علمية حظي بإعجاب الأوساط العلمية والأدبية. إلى جانب ذلك فلقد تولى دراسة طلاب المدرسة النظامية، وهو ما ذكره الحموي في قوله: ((ولى

دراسات تربوية جهود التبريزي البلاغية في شرحه اختيارات المفضل الضبي

الخطيب تدريس الأدب بالنظامية وخزانة الكتب بها، وانتهت إليه الرياسة في اللغة والأدب، وسار ذكره في الآفاق، ورحل الناس إليه⁽⁶⁾.

لقد ترك لنا التبريزي مصنفات كثيرة، وكان أكثرها في الشروحات. ويجد المتتبع لمصنفات التبريزي أن أبرز هذه الشروحات هي شرح اختيارات المفضل، ويقع هذا الشرح في ثلاثة أجزاء، حاول فيه التبريزي شرح القصائد التي اختارها المفضل الضبي من ناحية المفردة الواحدة، أو البيت الواحد وإعطائه معنى المفردة الواحدة، والبيت الواحد وإعرابه وشرحه شرحا صرفيا وبلاغيا، ومن ناحية الرواية واختلافها مع الاستشهاد بأراء العلماء واللغويين والنحويين.

وقد استوقفني قول محقق كتاب ((شرح اختيارات المفضل)) بأن الخطيب التبريزي تلقى علمه من كبار اللغويين والمحدثين والادباء والنحويين. فمن رجال العلم الذين لقيهم وأخذ عنهم مباشرة: ابن برهان - ابن الدهان - أبو العلاء المعري، الجرجاني - (وهو من كبار أئمة البلاغة العربية والبيان)، الجوهري - الخطيب البغدادي الرازي - الرقي - الصابي - الطبري - ابن جني - القالي - القصباني - الواسطي⁽⁷⁾. ثم قال هؤلاء هم أظهر من أخذ عنهم الخطيب التبريزي ولكن أكثرهم لم يكن له أثر واضح في شخصيته العلمية ومصنفاته.

ومن خلال اطلاعي على شرح اختيارات المفضل للخطيب التبريزي لمست أثرا واضحا لتقافة التبريزي البلاغية، فأعددت هذا البحث ليكون مساهمة متواضعة في دراسة جانب من جوانب التبريزي، وهو علم البلاغة، لعلني أضيف به جهدا جديدا في اكتشاف قدرة التبريزي البلاغية، وتمكنه من البلاغة والفصاحة التي تظهر فيها مواقف تعزى بالدراسة ومواصلة البحث.

والتبريزي على ما هو معروف، لم يترك كتابا خاصا بالبلاغة، ولكننا من خلال قراءتنا شرحه اختيارات المفضل، يتضح أن للتبريزي ثقافة بلاغية

دراسات تربوية جهود التبريزي البلاغية في شرحه اختيارات المفضل الضبي

لا يمكن إغفالها أو تجاهلها، إذ إنه اتبع طريقة أستاذه عبد القاهر الجرجاني، بل قد أفاد منه في تطوير ثقافته البلاغية، خلافا لما ذكره محقق الكتاب من أنه لم يظهر أثراً لتأثره بإمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني.

لقد فرضت عليّ طبيعة المادة البلاغية الموجودة في شرح التبريزي على اختيارات المفضل الضبي أن يكون البحث في مقدمة ومبحثين وخاتمة. اقتصرت المقدمة على نبذة مختصرة من حياة التبريزي، وكان المبحث الأول مختصاً بعلم المعاني، إذ اقتصر على ما ذكره التبريزي من أساليب الإنشاء الطلبي، وما تضمن من استفهام ونهي ونداء تمنٍ ودرست أسلوب التكرار والالتفات.

وقد تضمن المبحث الثاني موضوعات علم البيان من تشبيه ومجاز واستعارة وكناية، وقد شغلت موضوعات علم البيان حيزاً كبيراً من شرح التبريزي.

ثم ختمت البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها. وبذا آمل أن يكون هذا البحث قد أسهم إسهاماً جاداً في إمطة اللثام عن جهد بلاغي للتبريزي، كان يخفي بين طيات شرحه، يضاف إلى وجوهه المعرفية المتعددة. وآمل أن أكون قد أضفت شيئاً جديداً إلى مكتبة البلاغة العربية. والله من وراء القصد وهو حسبي ونعم الوكيل.

جهود التبريزي في الاستفهام

الاستفهام في حقيقته ((هو طلب الفهم بألفاظ معروفة، والمطلوب فهمه أن كان حكماً بشيء على شيء إثباتاً أو نفيًا فهو التصديق وإلا فهو التصور))⁽⁸⁾.

اعتنى التبريزي كثيراً بأسلوب الاستفهام، وهذا يظهر من خلال شرحه للشعار التي تضمنت هذا الأسلوب، وكما هو معروف فإن أسلوب الاستفهام

دراسات تربوية جهود التبريزي البلاغية في شرحه اختيارات المفضل الضبي

هو موضوع من موضوعات علم النحو، ولكن الذي يهمنا من هذا الأسلوب المعاني التي خرج إليها الاستفهام، والتي هي من صميم علم البلاغة. فكان من المعاني التي أشار إليها التبريزي هي:

1_ التعجب: أشار التبريزي إلى الاستفهام الذي يخرج إلى التعجب في شرحه لأحد أبيات تأبط شرا وهو:

ياعيد، مالك من شوق، وإبراق ومر طيف، على الأحوال، طراق⁽⁹⁾
قال التبريزي: مالك: لفظة استفهام ومعناه التعجب⁽¹⁰⁾.

وتصدى التبريزي لقضية مهمة في الاستفهام، وهي أن تكرار الاستفهام بالكلام يعني المبالغة في التعجب، أشار إلى ذلك وهو يشرح أحد أبيات أبو قيس بن الأسلت الأنصاري القائل:

أكل الدهر حلّ، وارتحال؟ أما يبقي عليّ، ولا يقيني⁽¹¹⁾

قال التبريزي: الألف لفظة استفهام ومعناه التعجب، والتفريع (أما يبقي عليّ ولا يقيني). يريد (ولا يقيني) فحذف ألف الاستفهام من (لا يقيني)، والتكرير في الكلام بلفظ الاستفهام مبالغة في التعجب⁽¹²⁾.

2- التفريع: انتبه التبريزي إلى الاستفهام الذي خرج إلى التفريع، وهو يشرح بيت الجميع:

أمست أمامة صمتا، ماتكلما مجنونة، أم أحست أهل خروب⁽¹³⁾

يقول التبريزي: ((ودل على ألف الاستفهام قوله (أم)، و (أم) هذه هي العذبة للهمزة المفسرة بـ (أي)، والمراد أي هاتين الحالتين حصلت لها حتى صارت كذلك. وتروى بالنصب وتكون جارية على ما قبلها، وتصير (أم) بعدها منقطعة، وقد عدل بها الكلام عن الإخبار إلى الاستفهام على طريق التفريع⁽¹⁴⁾)). ثم أوضح التبريزي مكانة الألف في كلمة (أرحت)، وهو يشرح قول المسيب بن علس، ثم أشار إلى أن الاستفهام خرج إلى التفريع.

قال المسيب:

أرحلت من سلمى، بغير متاع قبل العطاس، ورعتها بوادع⁽¹⁵⁾
قال التبريزي: ((الألف في (أرحلت) لفظة لفظ استفهام، والمعنى التقرّيع.
والخطاب للنفس))⁽¹⁶⁾

3- الإنكار: يخرج الاستفهام مجازاً ليؤدي غرضاً بلاغياً هو الإنكار، وهذا ما أشار إليه التبريزي، وهو يفسر بيت متمم بن نويرة:

أبعد من ولدت نسبية أشتكي زو المنية، أو أرى أتوجع⁽¹⁷⁾
قال التبريزي: ((اللفظ استفهام ومعناه الإنكار، يريد أأشتكي صروف الزمان، أو أرى متوجعاً وقد فجعت بأخوتي))⁽¹⁸⁾.
وأشار التبريزي إلى الإنكار على طريق النهي، وهو يشرح بيت لأبي ذؤيب الهذلي القائل:

أمن المنون، وربها، تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع؟⁽¹⁹⁾
قال التبريزي: ((ألف الاستفهام بطلب الفعل، والمراد به هنا الإنكار على طريق النهي))⁽²⁰⁾.

4- الأزدراء: قد يخرج الاستفهام لغرض الأزدراء، وهذا مظهر عند شرح التبريزي لبيت مزرد بن ضرار:

فدع ذا، ولكن ماترى رأي عصبه أتتني منهم منديات، عضائل⁽²¹⁾
قال التبريزي قوله (ماترى) استفهام على طريق الأزدراء، والمعنى كيف ترى، مذهب قوم اتتني منه فواحش))⁽²²⁾

5- النفي: وقد يخرج الاستفهام إلى غرض مجازي آخر وهو النفي، وهذا ما أشار إليه التبريزي وهو يشرح بيتاً لسلامة بن جندل القائل:

هل في سؤالك عن أسماء من حوب وفي السلام، وإهداء المناسيب⁽²³⁾
قال التبريزي: ((هل: لفظة استفهام ومعناه النفي))⁽²⁴⁾

ومثل ذلك قال التبريزي وهو يشرح بيت ذي الإصبع العدواني القائل:

- ماذا علي، اذا تدعوني ترعا الا اجبتكم، اذ لم تجيبوني؟⁽²⁵⁾
- قال التبريزي: ((الاستفهام من قوله (ماذا علي) يفيد فائدة النفي))⁽²⁶⁾ .
- 6- وقد يخرج الاستفهام إلى معنى مجازي آخر، وهو التوجع والتحسر، وقد تنبه التبريزي إلى ذلك ما يدل على معرفة عميقة وتطلع واسع في علم البلاغة، وقد أشار التبريزي إلى هذا المعنى وهو يشرح بيت عبدة بن الطبيب:
- هل حبل خولة، بعد الهجر موصول؟ أم انت عنها بعيد الدار، مشغول⁽²⁷⁾
- قال التبريزي: ((هل حبل خولة ، استفهام على طريق التوجع والتحسر لما تعذر من وصلها))⁽²⁸⁾ .
- كما اوضح التبريزي الاستفهام الذي خرج إلى التوجع وهو يشرح بيت ربيعة بن مقروم القائل:
- أمن آل هند، عرفت الرّسوما بجمران قفرا، أبت أن تريما؟⁽²⁹⁾
- قال التبريزي: ((ألف الاستفهام بطلب الفعل كأنه قال: أعرفت من ديار آل هند الرسوم؟ وهذا الاستفهام على طريق التوجع))⁽³⁰⁾ .
- 7- التمني: وقد يخرج الاستفهام عن غرضه الأصلي ليؤدي معنى التمني، وهذا مانلفيه عند شرحه بيت يزيد بن حذاق:
- ألاهل أتاها أن شكة⁽³¹⁾ حازم⁽³²⁾ لدي، وأني قد صنعت الشموسا⁽³³⁾
- قال التبريزي: ((ألا هل أتاها) استفهام خارج على وجه التمني))⁽³⁴⁾ .
- ومثل ذلك أوضح التبريزي وهو يفسر بيت علقمة بن عبدة:
- هل تلحقني بأخرى الحيّ، اذ شحطوا⁽³⁵⁾ جلذية⁽³⁶⁾، كأتان⁽³⁷⁾ الضحل علكوم⁽³⁸⁾
- قال التبريزي: ((هل تلحقني، لفظة استفهام ومعناه يمتزج به معنى التمني))⁽³⁹⁾ .

أسلوب النداء

النداء: ((هو طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة))⁽⁴⁰⁾. وهو من أنواع الإنشاء الطلبي الذي أشار إليه التبريزي، وهو يشرح أشعار الشعراء، ولم يكتف التبريزي بذكر النداء، بل ذهب أبعد من ذلك، إذ ذكر المنادى المفرد، والمضاف، والمرخم، كما أشار إلى حذف المنادى، وهذا ما يدل على أن للتبريزي باعاً طويلاً في علم البلاغة، ومنها هذا الأسلوب.

1- المنادى المفرد: أشار التبريزي إلى هذا النوع وهو يشرح بيت تأبط شرا: يا عيد، مالك من شوق، وإبراق ومر طيف، على الأهوال، طراق⁽⁴¹⁾؟ قال التبريزي: ((يا عيد: نداء مفرد معرفة))⁽⁴²⁾

2- نداء مضاف: أشار التبريزي إلى هذا النوع وهو يشرح بيت عبدة بن الطبيب:

أبني، إني قد كبرت وربني بصري، وفي لمصلح مستمتع⁽⁴³⁾ قال التبريزي: ((أبني : في موضع نصب لأنه نداء مضاف))⁽⁴⁴⁾

3- المنادى المفرد المرخم : أشار التبريزي إلى هذا النوع وهو يشرح بيت مزرد بن ضرار:

أزرع بن ثوب، إن جارات بيتكم هزلن، وألهاك ارتغاء⁽⁴⁵⁾ الرغائد⁽⁴⁶⁾ قال التبريزي: ((زرع : منادى مفرد مرخم))⁽⁴⁷⁾.

علل التبريزي سبب اختيار الشاعر لحرف النداء (الألف)، ثم أشار إلى نوع المنادى وهو مفرد مرخم وهو يشرح بيت الحادرة:

أسمي، ويحك، هل سمعت بغدرة⁽⁴⁸⁾ رفع اللواء لنا، بها، في مجمع⁽⁴⁹⁾ قال التبريزي: ((سمي: منادى مفرد مرخم، والألف حرف النداء، واختارها للتداني بينهما))⁽⁵⁰⁾

حذف المنادى

أوضح التبريزي موضع حذف المنادى ثم بين الفائدة من حذفه ثم قدر المحذوف وهو يشرح بيت تأبط شراً:

يا من لعدالة⁽⁵¹⁾، خذالة، أشب⁽⁵²⁾ حرق باللوم جلدي أي تحراق⁽⁵³⁾

قال التبريزي: ((وقوله) يا من لعدالة) المنادى محذوف كأنه قال: يا قوم من لعدالة، والكلام شكوى، ويشمل على التعجب.

فان قيل: ما الفائدة في حذف المنادى في قوله: (يا من لعدالة) والاستفهام الواقع بعده إلى من توجه، والمنادى ليس في الكلام؟

قلت: ان قصد المتكلم يمثل هذا الكلام إلى اظهار التألم والتوجع من أمر خفي عليه وجهه وطريقة الخلاص منه، وفي ذكر حرف النداء توصل إلى هذا العذر. فأما المنادى فهو يائس من غوثه وظهور فرج من عنده فلا فائدة في تخصيصه بالذكر، ولذلك فسر بأنه أراد: ياناس أو يا قوم⁽⁵⁴⁾.

وبين التبريزي أن النداء يخرج إلى التعجب، ذكر ذلك وهو يشرح بيتا لعوف بن عطية:

فيا طعنة، ماتسوء العدو وتبلغ، في ذاك، أمرا قرارا⁽⁵⁵⁾

قال التبريزي: ((ما: صلة، ومعنى النداء التعجب))⁽⁵⁶⁾.

أسلوب التمني

التمني: ((هو طلب حصول الشيء بشرط المحبة ونفي الطماعية))⁽⁵⁷⁾.

والتمني من أساليب الإنشاء الطلبية التي أشار إليها التبريزي وهو يشرح أشعار الشعراء، ومنها التمني بـ(ليت)، والتمني بـ(لو) وقد أوضح المعاني البلاغية التي خرج إليها التمني.

فقد أشار التبريزي إلى النوع الأول وهو يشرح بيت الحصين بن الحمام:

فليت، أبا شبل رأى كرّ خيلنا وخيلهم، بين الستار، وأظلم⁽⁵⁸⁾

وراسات تربوية جهود التبريزي البلاغية في شرحه اختيارات المفضل الضبي

قال التبريزي: ((الستار وأظلماً) موضعان، تمنى أن يكون هذا المذكور شاهد الحال، وماضيع من الواجبات ماجرى من الفتن، وهذا الكلام تحسر لما حدث بين الفريقين))⁽⁵⁹⁾.

التمني بـ(لو)

أشار التبريزي إلى هذا اللون وهو يشرح بيت المرقش الأصغر:
بكل مبيت، يعترينا، ومنزل فلو أنها، إذ تدلج⁽⁶⁰⁾ الليل، تصبح⁽⁶¹⁾
قال التبريزي: ((يعترينا أي ينزل بنا، وبأتينا، في كل مكان ننزل به، وهذا إخبار عن حاله، وأنه لا يخلو منها ومن ذكرها، ثم قال متمنياً) فلو أنها إذ تدلج الليل تصبح) والمراد اتصال رؤيته لها))⁽⁶²⁾.

أسلوب النهي

النهي: هو طلب الكف عن الفعل استعلاء⁽⁶³⁾، وقد أشار التبريزي إلى هذا الأسلوب، وخروجه إلى معنى مجازي في موضع واحد في شرحه لأحد أبيات الشنفرى الأزدي:

ألا لا تعدي، إن تشكيت، خلتي شفاني، بأعلى ذي البريقين، عدوتي⁽⁶⁴⁾
قال التبريزي: لاتعدي: لفظه لفظ نهى، ((والمراد لاتشقى ذلك عليك، فقد اشتفيت بعدوتي، فلا تظنّ اني متشك، فتتكلف عيادتي))⁽⁶⁵⁾.

أسلوب التكرار

التكرار: من أساليب الإطناب ((والذي يحدّ به أن يقال: هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة فهذا جيده الذي يميزه عن التطويل، إذ التطويل هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة، وأما التكرير فإنه دلالة على المعنى مردداً))⁽⁶⁶⁾.
فالتكرار من الأساليب البلاغية التي تنبه إليها التبريزي، وهو يشرح أشعار الشعراء، فقد بيّن في شروحه مواضع التكرار، ثم ذكر السبب الذي دفع الشاعر للتكرار والغرض الذي خرج إليه.

وراسات تربوية جهود التبريزي البلاغية في شرحه اختيارات المفضل الضبي

فمن أغراض التكرار التي ذكرها: وهو أما أن يكون للتأكيد، أو للتشكي، أو لتفطيع الأمر، أو للاستئناس.

1- فمن التكرار الذي أفاد التأكيد قول التبريزي وهو يشرح بيت مقاس العائدي:

أولى فأولى، يا أمراً القيس بعدما خصفن⁽⁶⁷⁾، بآثار المطي الحوافرا⁽⁶⁸⁾
قال التبريزي: ((أولى توعداً، وكرره تأكيداً، وهو مأخوذ من الولي القريب))⁽⁶⁹⁾.

2- التكرار الذي أفاد التشكي، بينه التبريزي وهو يشرح بيت ثعلبة بن صعير:
وعدتك، ثم أخلفت موعدها ولعل مامنتك ليس بضائر⁽⁷⁰⁾
قال التبريزي: ((كرر ذكر الوعيد تشكياً مما ناله فيه))⁽⁷¹⁾.

3- التكرار الذي أفاد تفطيع الخطب. قوله وهو يشرح بيت سلامة بن جندل:
أودى الشباب، حميدا، ذو التعاجيب أودى، وذلك شأؤ غير مطلوب⁽⁷²⁾
قال التبريزي: ((كرر الشاعر (أودى) تفطيعاً للخطب))⁽⁷³⁾.

4- التكرار الذي أفاد الاستئناس قوله وهو يشرح بيت علقمة بن عبدة:
فطاف طوفين، بالأدحي، يقفره كأنه حاذر، للنخس، مشهوم⁽⁷⁴⁾
قال التبريزي: ((انما كرر التطواف، ليستأنس بالأدحي، ولينظر هل تغير كما عهد))⁽⁷⁵⁾.

أسلوب الالتفات

الالتفات: ((هو انصراف المتكلم عن مخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى مخاطبة، وما شبه ذلك، ومن الالتفات، الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر))⁽⁷⁶⁾.

وقد ذكر التبريزي هذا النوع من الكلام العربي، ووضعه في خدمة شرحه للمفضليات، وقد أشار إليه كثيراً وهو يشرح أشعار الشعراء، فنلفيه تارة يقول

إنه التفات، وتارة يقول يجري مجرى الالتفات، وثالثة يشير إلى الالتفات من خلال مترادفات، كالتحول، والالتفات، والانتقال.

فمن النوع الأول قوله وهو يشرح بيتا للحارث بن حلزة:

ويئست مما كان يشعفني منها، ولا يسليك كاليأس⁽⁷⁷⁾

قال التبريزي: ((ولايسليك كاليأس، التفات. كأنه قد التف إلى رفيقه فقال ذلك راميا مرمى الأمثال))⁽⁷⁸⁾.

ومن النوع الثاني قوله وهو يشرح بيت سويد بن أبي كاهل:

لأنريد الدهر، عنها حولا جرع الموت، وللموت جرع⁽⁷⁹⁾

قال التبريزي: ((كأنه قال هو جرع الموت، وهو يجري مجرى الالتفات))⁽⁸⁰⁾.

ومن النوع الثالث الذي لم يذكر فيه الالتفات، ولكنه يشير إليه ويشرح معنى الالتفات وكيف حدث وانتقل من حال إلى حال.

ومثل ذلك قال وهو يشرح بيت ربيعة بن مقروم:

سموت، بحدرد في الأعنة، كالقنا وهن مطايا، لايحلّ فصادها⁽⁸¹⁾

قال التبريزي: ((انتقل إلى الخطاب من الإخبار))⁽⁸²⁾.

المبحث الثاني

علم البيان / التشبيه

التشبيه: وهو أن يثبت للمشبه حكما من أحكام المشبه به. أو هو عقد مماثلة بين طرفين بأداة مضمرة أو ظاهرة⁽⁸³⁾.

يعد التشبيه من أكثر الفنون البلاغية التي أشار إليها التبريزي، وهو يشرح اشعار المفضليات ولعل ذلك يعود إلى طبيعة أشعار القدامى، إذ كانت حافلة بالتشبيهات التي كان الشاعر القديم يعدها صورة مزينة وملونة تزين أشعاره وتلونها بألوان زاهية تعجب القارئ، وتزيد من تعلقه بتلك الأشعار، بل ويسهل على القارئ حفظ تلك الأشعار لما لها من اتصال مباشر بحياتهم اليومية.

وراسات تربوية جهود التبريزي البلاغية في شرحه اختيارات المفضل الضبي

ولعل خير دليل على ذلك هو ما أوضحه التبريزي وهو يشرح اشعار المفضليات، ومن ذلك قوله وهو يشرح بيت المسيب بن علس، وكانت اداة التشبيه (كان):

وكان بلق الخيل، في حافاته يرمي بهنّ دوالي الزّراع⁽⁸⁴⁾
قال التبريزي: ((أي في حافات هذا الخليج، شبه أمواجه بخيل بلق، لأن الموجة اذا ارتفعت كان ظهرها أبيض. فإذا انقلبت أسود بطنها. لكثافة الماء))⁽⁸⁵⁾.

ومثل قوله وهو يشرح بيت المخبل السعدي وكانت أداة التشبيه (الكاف):
كاللؤلؤ المسجور، أغفل في سلك النظام، فخانه النظم⁽⁸⁶⁾
قال التبريزي: ((المسجور: المصبوب صبا، شبه تتابع قطرات الدمع بتتابع اللؤلؤ المصبوب في السلك، وقد غفل عنه ناظمه، فخانه الخيط في النظم، فانقطع وانحدر اللؤلؤ انحدارا سريعا))⁽⁸⁷⁾.

وفي مواضع أخرى نجد التبريزي يشير إلى التشبيه ويوضحه من غير أن يذكر الشاعر أركانا واضحة للتشبيه في شعره. فمن ذلك قوله وهو يشرح بيتا للمسيب بن علس:

ولأنت أجود من خليج، مفعم متركم الآذي، ذي دفاع⁽⁸⁸⁾
قال التبريزي: ((قوله (ذي دفاع) أي يدفع الماء، بعضه بعضا لكثرتّه، شبه القعقاع في جوده بهذا الخليج الموصوف))⁽⁸⁹⁾.

ومثل ذلك قوله وهو يشرح بيتا للمتقّب العبدى:
وصاحت صواديح النهار، واعرض لوامع، يطوى، ريطها⁽⁹⁰⁾ وبرودها⁽⁹¹⁾
قال التبريزي: ((الصواديح: الجنادب، اللوامع: السراب، الریط: الثياب البيض، شبه السراب بها، وشبه تقلبه بثياب تطوى))⁽⁹²⁾.

وأحيانا يشير التبريزي إلى أكثر من موضع للتشبيه في البيت الواحد، فمن ذلك قوله وهو يشرح بيت المرقش الأكبر:

اوعلاة، قد دربت درج المشـية حرف، مثل المهاة ذقون⁽⁹³⁾
قال التبريزي: ((أصل(العلاة) سندان الحداد، شبه الناقة بها في صلابتها.
و(الحرف) الصلبة، شبهت بحرف الجبل. ويقال الحرف: الماضية، شبهت
بحرف السيف في مضائه، و(المهاة) البقرة، شبهت بها لسرعتها))⁽⁹⁴⁾.
ومن ذلك أيضاً قوله وهو يشرح بيتا للمرقش الأكبر:

رأت اقحوان الشيب، فوق خطيطة إذا مطرت لم يستكن صوابها⁽⁹⁵⁾
قال التبريزي: ((شبه الشيب لبياضه بالأقحوان، وأصل الخطيطة أرض لم
تمطر بين ارضين ممطورتين، وشبه رأسه بالخطيطة لأنه لاشعر عليه
كالخطيطة لانبت فيها اذا فقدت المطر))⁽⁹⁶⁾.
وفي موضع آخر بين التبريزي الغرض الذي أفاده التشبيه. فمن ذلك قوله
وهو يشرح بيت الجميع:

كأن راعينا يحدو بها حمرا بين الأبارق، من مكران، فاللّوب⁽⁹⁷⁾
قال التبريزي: ((والقصد في تشبيه الإبل بالحرر التنبيه على هزالها وصغر
اجرامها))⁽⁹⁸⁾.
وفي موضع آخر بين التبريزي السبب الذي دفع الشاعر إلى تشبيه وجه الحبيبة
بالصحيفة وذلك في بيت المخبل السعدي:

وتريك وجهها، كالصحيفة، لا ظمأن مختلج، ولاجهم⁽⁹⁹⁾
قال التبريزي: ((ويروى كالوذيلة، وهي سبيكة من الفضة وشبهها بالصحيفة
لملاسته ولينه))⁽¹⁰⁰⁾.
وفي بيت قاله الحصين بن الحمام بين لنا التبريزي أن الشاعر غيّر المعنى
خوفاً من تكرار التشبيه:

واجرد كالسرحان، يضربه الندى ومحبوكة كالسيد، شقاء، صلدا⁽¹⁰¹⁾
قال التبريزي: ((يعني فرسا عربيا قصير الشعر، والسرحان: الذئب وفي لغة
هذيل: الأسد، شبه عدوه بعدو الذئب ابتل بمطر أتى عليه فهو يبادر إلى مأواه.
وقوله كالسيد الخلقة لا العمل لنلا يتكرر التشبيه))⁽¹⁰²⁾.

المجاز

المجاز: ((كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة نسبة بين الثاني والأول، أما الجمل فكل جملة واضعها على أن الحكم المفاد بها على ما هو عليه في العقل وواقع موقعه في حقيقة مثاله: (خلق الله العالم، وأنشأ العالم) وكل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه في العقل بضرب من التأويل فهي مجاز))⁽¹⁰³⁾.

لقد نهج التبريزي نهج سابقه الذين أشاروا إلى المجاز، إذ نراه يشير إلى المجاز أحياناً من غير تصريح به، أو تحديد لأنواعه، وأحياناً أخرى يجعله على السعة في الكلام مستعينا به عند شرحه لاشعار الشعراء، موضحاً حقيقتها ومجازها.

1- فقد أشار إلى المجاز عند شرحه لأحد أبيات الحادرة:

أودى السفار برمّها، فتخالها هيماء، مقطعة حبال الأذرع⁽¹⁰⁴⁾

قال التبريزي: ((قوله مقطعة حبال انتصب (حبال) بقوله (مقطعة) جعل الفعل لها على المجاز لقوله (نهاره صائم)، كأنها تولت ذلك من نفسها))⁽¹⁰⁵⁾.

2- ومثل ذلك أوضحه وهو يشرح بيت أبي قيس بن الاسلت الانصاري:

هلاً سألت الخيل، إذ قلصت ما كان إبطائي، وإسراعي؟⁽¹⁰⁶⁾

قال التبريزي: ((جعل القلوص للحرب على المجاز وإنما يكون لأهلها))⁽¹⁰⁷⁾.

3- أما ما ذكر من المجاز على السعة ففي شرحه لبيت تأبط شرا:

حتى نجوت، ولما ينزعوا سلمي بوله، من قبض الشدّ غيداق⁽¹⁰⁸⁾

قال التبريزي: ((جعل الوله للعدو على المجاز والسعة))⁽¹⁰⁹⁾.

الاستعارة

الاستعارة: ((إنما هو استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها، مثل أم الكتاب وجناح الذل ومثل قول القائل الفكرة مخ العمل))⁽¹¹⁰⁾.

ويبرز أثر التبريزي في تحديد مواضع الاستعارة من خلال نظرته لأشعار المفضلين، ليتضح لنا مدى إفادة التبريزي من جهود أستاذه عبد القاهر وكيفية فهمه للاستعارة وطبيعة توظيفها في شرح تلك الأشعار، فمن ذلك قوله وهو يشرح شعر شبيب بن البرصاء:

1- ألم تر أن الحيّ فرق بينهم نوى، يوم صحراء الغميم لجوج⁽¹¹¹⁾
قال التبريزي: ((يقال نوى لجوج: أي غير موات، جعل الفعل لها وهو لأصحابها استعارة))⁽¹¹²⁾.

ومن الاستعارة التي ذكرها التبريزي في شرحه لبیت متمم بن نويرة:
وضيف، إذا أرغى طرقا بغيره وكان ثوى في القدّ حتى تكنعا⁽¹¹³⁾
قال التبريزي: ((وأصل التكنع: التقبض، ثم استعير منه للخضوع عند المسألة))⁽¹¹⁴⁾.

2- ومثل ذلك قوله وهو يشرح بيت سويد بن أبي كاهل:
كمهت عيناه، حتى ابيضتا فهو يلحى نفسه. لما نزع⁽¹¹⁵⁾
قال التبريزي: ((يصف تحيره فيما ينتحيه، وذهابه عن العلم بما له وعليه و(الأكمه) قيل هو الذي يولد أعمى، وقد استعمله هذا في العمى الحادث بعد الولادة استعارة))⁽¹¹⁶⁾.

الكناية

الكناية: هي ((أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له، في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه))⁽¹¹⁷⁾.

والكناية هي من أساليب العرب في كلامهم لذا فقد كانت أشعار الشعراء القدامى حافلة بمثل هذا الأسلوب لأن الأشعار كانت موافقة لكلامهم وطرقهم في التعبير، وقد التفت التبريزي كغيره من العلماء إلى هذا الأسلوب وهو يشرح

أشعار المفضليات فدلنا على مواضع الكناية وشرح موضع المكنى والمكنى عنه.

- 1- فمن ذلك قوله وهو يشرح بيت سلمة بن الخرشب:
كأن مسيحتي ورق عليها نمت قرطيهما أذن، خديم⁽¹¹⁸⁾
قال التبريزي: ((قوله (قرطيهما) كناية عن البياض في الخدين))⁽¹¹⁹⁾.
- 2- ومما ذكره التبريزي من الكناية في بيت بشر بن ابي خازم:
نسوق للخرام، بمرفقيها تسدّ خواء طبييها، الغبار⁽¹²⁰⁾.
قال التبريزي: ((قوله (يسدّ خواء طبييها) يريد يملأ ما بين قوائمها، بما يثور من غبارها وهذا كناية عن شدة العدو))⁽¹²¹⁾.
- 3- كما أشار التبريزي إلى موضع الكناية وهو يشرح بيتا للمرقش الأكبر:
فإن يطعن الشيب الشباب فقد ترى به لمتي، لم يرم عنها غرابها⁽¹²²⁾.
قال التبريزي: ((جعل الغراب كناية عن السواد))⁽¹²³⁾.

الخاتمة ونتائج البحث

- بعد أن فرغت من إكمال هذا الجهد المتواضع من البحث والدراسة في هذا الموضوع أود أن أقدم في نهايته ملخصا بأهم النتائج التي توصلت إليها:
- 1- في المقدمة انتهيت إلى تحديد صورة ملخصة لشخصية التبريزي، وما يخص حياته ومقدرته العلمية وتوصلت إلى أن للتبريزي آراء بلاغية اتضحت لي بين طيات شرحه على اختيارات المفضل.
 - 2- إن البلاغة في شرح التبريزي تبدو واضحة، ويثبت بأنه تأثر باستاذة عبد القاهر الجرجاني.
 - 3- تناولت في المبحث الأول جهوده في علم المعاني، وكان اهتمامي منصبا على تناول أهم الأغراض البلاغية التي تدخل ضمن هذا العلم، فاستطعت استخراج كثير من القضايا التي تدخل ضمن مباحث هذا العلم.

4- اقتصرت آراء التبريزي البلاغية على علمي المعاني والبيان، ولم يكن لعلم البديع حظاً في شروح التبريزي لاختيارات المفضل، فلم يكن التبريزي مهتماً بعلم البديع كاهتمامه بعلمي المعاني والبيان، فلم يذكر منه سوى فن الالتفات الذي لا يكفي وحده ليشكل مبحثاً مستقلاً، ولما كان الالتفات من الأساليب المعنوية في علم البديع فقد الحقته بعلم المعاني.

5- كان المبحث الثالث مختصاً بعلم البيان وما يدخل ضمن هذا العلم من أغراض وأساليب، فقد كان للتشبيه نصيب أوفر في شروح التبريزي، أما الأغراض الأخرى فقد كان لها نصيباً أقل من التشبيه.

وأحب أن أشير إلى أنني عانيت من كتابة هذا البحث أن أثبت أن للتبريزي مقدرة بلاغية وإطلاع واسع في علوم البلاغة لذا حاولت جمع كل القضايا البلاغية التي ذكرها في شرحه لاختيارات المفضل. وفي الختام أرجو أن أكون قد وفقت في إظهار مقدرة التبريزي البلاغية، عسى أن أنتفع بها وينتفع بها غيري. والله من وراء القصد

الهوامش :

¹ - شذرات الذهب: 5/4.

² - م ، ن : 5/4.

³ - معجم الادباء: 26/2، وينظر الاعلام: 197/9.

⁴ - نزهة الالباء في طبقات الادباء: 270.

⁵ - شرح اختيارات المفضل: 14/1

⁶ - معجم الادباء: 27/20

⁷ - ينظر: شرح اختيارات المفضل: 17/1.

⁸ - التلخيص في علوم البلاغة: 153.

⁹ - المفضليات: 1.

¹⁰ - شرح اختيارات المفضل: 1/95-96.

¹¹ - المفضليات: 237.

- 12 - شرح اختيارات المفضل: 1263/3
- 13 - المفضليات: 7.
- 14 - شرح اختيارات المفضل: 152/1.
- 15 - المفضليات: 31.
- 16 - شرح اختيارات المفضل: 303/1.
- 17 - المفضليات: 24.
- 18 - شرح اختيارات المفضل: 272/1.
- 19 - المفضليات: 370.
- 20 - شرح اختيارات المفضل: 1682/3.
- 21 - المفضليات: 67.
- 22 - شرح اختيارات المفضل: 480-479/1.
- 23 - المفضليات: 88.
- 24 - شرح اختيارات المفضل: 593/2.
- 25 - المفضليات: 123.
- 26 - شرح اختيارات المفضل: 763/2.
- 27 - المفضليات: 100.
- 28 - شرح اختيارات المفضل: 643/2.
- 29 - المفضليات: 142.
- 30 - شرح اختيارات المفضل: 830/2.
- 31 - ينظر: لسان العرب: شكاء، شكة: السلاح.
- 32 - م ، ن : حزم، حازم: العاقل المميز ذو الحنكة.
- 33 - المفضليات: 249. (الشموس: اسم فرسه).
- 34 - شرح اختيارات المفضل: 1282/3.
- 35 - ينظر: مختار الصحاح: 331، شحطوا: ابعده.
- 36 - ينظر: لسان العرب: جلد، جلذية: الناقة الصلبة مأخوذة من الجلذاء وهي الارض الغليظة.
- 37 - م ، ن : اتن، اتان الضحل: الصخرة العظيمة تكون في الماء.
- 38 - المفضليات: 347. (العلجوم: الناقة الغليظة)، لسان العرب: علكم.
- 39 - شرح اختيارات المفضل: 1607-1608.
- 40 - التلخيص: 171-172.
- 41 - المفضليات: 1.

- 42 - شرح اختيارات المفضل: 95/1.
- 43 - المفضليات: 109.
- 44 - شرح اختيارات المفضل: 2 / 687.
- 45 - مختار الصحاح: رغا، ارتغاء: صوت ذوات الخف.
- 46 - المفضليات: 17.
- 47 - شرح اختيارات المفضل: 375/1.
- 48 - مختار الصحاح: غدر، بغدرة: الغدرة ترك الوفاء.
- 49 - المفضليات: 17.
- 50 - شرح اختيارات المفضل: 219/1.
- 51 - أساس البلاغة: عدل، عذالة — خذالة: عدله فاعذل أي عدل نفسه واعتب ورمى فأخطأ ثم اعتدل أي عدل نفسه على الخطأ فرمى ثانية فأصاب.
- 52 - م ، ن : أشب، اشب : شدة التفاف الشجر حتى لامجاز فيه.
- 53 - المفضليات: 3.
- 54 - شرح اختيارات المفضل: 130/1.
- 55 - المفضليات: 395.
- 56 - شرح اختيارات المفضل: 3 / 1666.
- 57 - التلخيص: 151.
- 58 - المفضليات: 36.
- 59 - شرح اختيارات المفضل: 327-328.
- 60 - المختار من صحاح اللغة: دلج، تدلج: سار من أول الليل.
- 61 - المفضليات: 197.
- 62 - شرح اختيارات المفضل: 1080-1081.
- 63 - ينظر التلخيص: 170.
- 64 - المفضليات: 79.
- 65 - شرح اختيارات المفضل: 530/1.
- 66 - المثل السائر: 128/2.
- 67 - ينظر: لسان العرب: خصف، خصفن: اردف، يقال: خصفت الابل الخيل تبعتها.
- 68 - المفضليات: 259.
- 69 - شرح اختيارات المفضل: 1314/3.
- 70 - المفضليات: 94.

- 71 - شرح اختيارات المفضل: 615/2.
- 72 - المفضليات: 85.
- 73 - شرح اختيارات المفضل: 566 / 2.
- 74 - المفضليات: 349.
- 75 - شرح اختيارات المفضل: 1614/3.
- 76 - البديع: 58.
- 77 - المفضليات: 98.
- 78 - شرح اختيارات المفضل: 636 / 2.
- 79 - المفضليات: 158.
- 80 - شرح اختيارات المفضل: 900/2.
- 81 - المفضليات: 173، فصد: قطع العرق (مختار الصحاح: فصد).
- 82 - شرح اختيارات المفضل: 1544 / 2.
- 83 - ينظر نقد الشعر: 108.
- 84 - المفضليات: 33.
- 85 - شرح اختيارات المفضل: 317/1.
- 86 - المفضليات: 80.
- 87 - شرح اختيارات المفضل: 534/1.
- 88 - المفضليات: 33.
- 89 - شرح اختيارات المفضل: 317/1.
- 90 - اساس البلاغة: ربط، وربطها: الربط كل ثوب رقيق ولين.
- 91 - المفضليات: 113.
- 92 - شرح اختيارات المفضل: 709/2.
- 93 - المفضليات : 184، ذقون: ناقة ذقون تمد خطامها وتحرك رأسها قوة ونشاطا في السير، (اساس البلاغة: ذقن).
- 94 - شرح اختيارات المفضل: 1014 / 2.
- 95 - المفضليات: 192.
- 96 - شرح اختيارات المفضل: 1051/2.
- 97 - المفضليات: 8.
- 98 - شرح اختيارات المفضل: 161/1.
- 99 - المفضليات: 81.

- 100 - شرح اختيارات المفضل: 540/1.
- 101 - المفضليات: 36.
- 102 - شرح اختيارات المفضل. 330/1 - 331.
- 103 - اسرار البلاغة: 396 - 429.
- 104 - المفضليات: 18.
- 105 - شرح اختيارات المفضل: 232/1 - 233.
- 106 - المفضليات: 239.
- 107 - شرح اختيارات المفضل: 1241/3.
- 108 - المفضليات: 2، غيداق: يقال عيش عيداق: واسع، (اساس البلاغة: غدق).
- 109 - شرح اختيارات المفضل: 116/1.
- 110 - البديع: 2.
- 111 - المفضليات: 133.
- 112 - شرح اختيارات المفضل: 792/2.
- 113 - المفضليات: 220.
- 114 - شرح اختيارات المفضل: 1173/3.
- 115 - المفضليات: 161.
- 116 - شرح اختيارات المفضل: 910/2 - 911.
- 117 - دلائل الاعجاز: 52.
- 118 - المفضليات: 12.
- 119 - شرح اختيارات المفضل: 191/1.
- 120 - المفضليات: 295.
- 121 - شرح اختيارات المفضل: 1435/3 - 1436.
- 122 - المفضليات: 192.
- 123 - شرح اختيارات المفضل: 1051/2.

المصادر

- 1- أساس البلاغة: للزمخشري، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1972م.
- 2- أسرار البلاغة في علم البيان: الامام ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت471هـ) - تحقيق هـ ، ريتز، اسطنبول ، مطبعة وزارة المعارف 1954م.
- 3- البديع: عبد الله بن المعتز، طبعة كراتشكوفسكي، لندن 1935م.

- 4- التلخيص في علوم البلاغة: للامام جلال الدين بن محمد بن عبد الرحمن القزويني (ت739هـ) ، ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي، الطبعة الثانية ، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان1932م.
- 5_ دلائل الاعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تصحيح محمد رشيد رضا، الناشر دار المعرفة للطباعة، بيروت - لبنان 1398هـ ، 1978م.
- 6- شذرات الذهب في اخبار من ذهب: ابن العماد الحنبلي، مكتبة المقدسي 1351هـ .
- 7- شرح اختيارات المفضل: الخطيب التبريزي، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، الطبعة الاولى: مجمع اللغة العربية ، دمشق1391هـ -1971م، والطبعة الثانية: بيروت 1407هـ -1987م.
- 8- لسان العرب المحيط: للعلامة ابن منظور، قدم له الشيخ عبد الله العلايلي، اعداد وتصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت.
- 9- المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الاثير، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر 1939م.
- 10- المختار من صحاح اللغة: تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد ومحمد عبد اللطيف السبكي، الطبعة الثانية — مطبعة الاستقامة بالقاهرة.
- 11- مختار الصحاح: محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الرسالة 1983م.
- 12- معجم الادباء المعروف بارشاد الارب إلى معرفة الاديب شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي، مطبعة المأمون بمصر 1937م.
- 13- المفضليات: المفضل الضبي، طبع الجزء الاول منه في لبيز سنة1885م بعناية يوريكه ، ثم طبع كاملا بمصر سنة 1324هـ، بتصحيح وتعليق ابي بكر بن عمر الداغستاني.
- 14- نزهة الالباء في طبقات الادباء: عبد الرحمن بن محمد الانباري، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، مطبعة مدني، القاهرة.
- 15- نقد الشعر: قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي(ت337هـ) ، تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، نشر المكتبة العلمية، بيروت - لبنان 1400هـ - 1980م.